

# الفرودة

للمصطفى الفرشي مربي أسان  
بقلم الأستاذ ناجي الخطاري

رقت من قبل مائة مرة .

وكانت إلى جانبها فتاة

تكبرها بعام ، تهز بين يديها

طفلاً صغيراً ، لا تبدى حراكاً

ولا تقوى بكلمة ، ويحذاها

طفلان يلغان من العمر

السنتين أو الثلاث ، استلقيا

على الأرض ، وأخذتا يحفران

التراب بأيديهما المضة ،

وتراشقان به فيصيب وجهيهما

كان الصمت يسود الجميع ، إلا الطفل الصغير

الذي حاولوا عبثاً أن ينيموه ، فقد كان يبكي باستمرار

بكاء ضعيفاً ، وكانت هناك همة نائمة على النافذة ،

وكانت عند أسفل الحائط وسادة من الزهر الأبيض

يطن فوقها سرب من الذباب .

وعلى حين غرة صاحبت البنت الصغيرة التي تحيط

قرب الباب :

— ما ما ...

فأجابت الأم : ماذا تريدين ؟

قالت : ها هو ذا

وقد كن في جزع منذ الصباح ، ذلك لأن رحلاً

غريباً كان يطوف حول الدار ، وهو رجل مسن

تبدو عليه دلائل الفاقة والشقاء ، شاهدته عند ما

صحبت الأب إلى قاربه الذي يصيد فيه ، إذ كان جالساً

فوق حجر قريباً من الدار ، ولدى عودته من

الشاطئ شاهدته أيضاً جالساً ينظر إلى الدار .

وكان يبدو عليه أنه مريض بأثس ، فقد لبث

ساعة دون أن تبدو منه حركة ، وما كاد يلاحظ

أنهن ينظرن إليه برية ، حتى نهض وسار يجر رجله ،

كانت القرية الوديمة نائمة في حضن الوادي

المنحدر نحو البحر ، وكانت أمواج البحر المتتابعة

تلطم الشاطئ الزلي ثم ترتد عنه ، وكانت السحب

البيضاء تجتاز مسرعة ، السماء الزرقاء الواسعة يحملها

الهواء الناعش ... وكان أول ما يبدو للداخل إلى

القرية ، دار صغيرة منفردة على قارعة الطريق يمر بها

الناس باسم دار « مارتن لوفيسك » ، كان يأوي

إليها أحد الصيادين المعروفين ، وهي ذات جدر من

طين ، وسقف من قش ، مزين بالسوسن الأزرق ،

تحيطها حديقة واسعة ، تمتد كالسباط ، فيها أنواع

الزروع : كالبصل والكرنب والبقدونس المتراكم لدى

الباب ، وكان يسترها عن الطريق سياج من الزروع

الشائكة .

كان الرجل في سيده ، وكانت امرأته جالسة

أمام عتبة الباب تحيك لزوجها شبكة صيد ، مستندة

إلى الحائط الذي كان يعلوه نسيج المنكبوت ،

وكانت ابنتها البالغة من العمر أربع عشرة سنة ،

عند مدخل الحديقة ، مستلقية على كرسي من القش ،

مائلة به إلى الوراء قليلاً ، ترقع ثياباً بالية حقيرة ،

— أ كبرطنى أنه يعرفنا ومن الممكن أن يكون  
بعض فقراء بلدة « إيرفيل » أوبلدة « أوزيوسك »  
ولكن الأم كانت على تمام اليقين من أنه ليس  
من تلك الديار . وظل الرجل على حاله الأولى لم يجد  
بميينه عن الدار ، ففضت مارتن وأكسبها الخوف  
شجاعة ، فتناولت بحرفة وذهبت إليه وصاحت  
به قائلة :

— ماذا تفعل هنا ؟

فأجاب بصوت متهدج :

— إننى أتفياً الظلال ، فهل أزججتك ؟  
قالت :

— لماذا تجول حول الدار كالتجسس ؟  
فأجابها بقوله :

ليس بودى أن أؤذى أحداً ، أثن المحظور  
أن أجلس على قارعة الطريق ؟

وسمعت جوابه ، فلم تخر جواباً وعادت أدراجها  
إلى الدار

كان النهار يمضي ببطء ، واختفى الرجل وقت  
الظهيرة ، ثم عاد في الساعة الخامسة تقريباً ، ولم يروه  
في المساء قط

ولما عاد لوفيسك عند هبوط الظلام ، سرود  
على مسامحه ما رأيته فقال :

— من الممكن أن يكون فاراً من أحد ،  
أو أن يكون أحد الأشقياء ... ونام لوفيسك  
بلا انزعاج ، بينما كانت زوجته تفكر في هذا الأفق  
الذى نظر إليها بميتين مضحكتين

وفي الصباح كان الهواء شديداً ، فرأى النوبة

ولكنه رأى بعد قليل عائداً بخطواته البطيئة ، ثم  
جلس في مكان أبعد من مكانه الأول ، كأنما يريد  
أن يراقبهن .

أوجست البنات خيفة ، وزاد بالأم الجزع  
لأنها نشأت على الخوف ، ولأن زوجها لوفيسك  
لا يمود من البحر إلا عند هبوط الظلام

كان زوجها يدعى لوفيسك وهى تدعى مارتن ،  
ولدى زواجهما دعيا أسرة مارتن لوفيسك وذلك  
أنها تزوجت للمرة الأولى نوتياً يدعى مارتن ، كان  
يذهب كل صيف إلى الأرض الجديدة بصيد نوعاً  
خاصاً من السمك ، فرزقت منه بعد مضي سنتين  
على زواجهما بنتاً صغيرة كان عمرها ينيف على ستة  
أشهر عند ما اختفى مركب « الشقيقتين » ذو الساريات  
الثلاث الذى كان يقل زوجها ، وانتظرت أن يأتيها  
خبر عنه فلم تسمع عنه شيئاً ، ولم يعد أحد من  
البحارة الذين ركبوا معه فاعتبر مفقوداً ، وانتظرت  
مارتن زوجها ست سنوات تقوم بأودابنتها بصموبة  
ومشقة ؛ ولما كانت بأسلة وحسنة السمكة ، خطبها  
لنفسه أحد صيادى البلدة واسمه لوفيسك ، وكان  
أرمل يعيش مع ولديه ، فتزوجته ورزقت منه  
طفلين في ثلاث سنوات ، وعاشا بكد وجهد ونصب  
لأن الخبز كان غالى الثمن ، فكانوا يأخذون ما لا بد  
لهم منه يشترونه بالنسيئة ، وكاد اللحم أن يكون  
غريباً عن الدار زمن العواصف والأنواء ، وكانت  
صحة الأطفال برغم ذلك حسنة حتى أنه كان يقال :  
إن أفراد أسرة مارتن لوفيسك شجمان ، فإن مارتن  
تتحمل المشاق ، ولوفيسك ليس له نظير في الصيد  
وكانت البنت جالسة على السياج فقالت :

— هل أنت قادم من مكان قصي ؟

— أتيت من هنا

— ما شيئاً ؟ وبخالنك هذه ؟

— نعم ما شيئاً لأنني لم أجد ما أركبه

— إلى أين أنت قادم ؟

— إلى هنا

— هل تعرف هنا أحداً ؟

— ربما

وصمت الرجلان ، وكان الغريب يأكل ببطء  
برغم جوعه ، ويتناول جرعة من النبيذ بعد كل لقمة  
من الخبز . كان وجهه شاحباً متعظناً ، تظهر عليه  
سياء التماسه والشقاء

وجاءه قال له لوفيسك : ماذا تدعى ؟

فأجاب ولم يرفع رأسه :

— إسحق مارتين

فمرت الأم " قشمية غربية لدى سماعها هذا  
الاسم ، وخطت خطوة للأمام كأنها تريد أن ترى  
الغريب بوضوح ، ووقفت لإزائه مهتدة اليدين ،  
فاغرة الفم ، ولم يقل أحد شيئاً ، وأخيراً قال لوفيسك :

— هل أنت من هنا ؟

فقال : نعم . ثم رفع رأسه فالتفت عينا المرأة  
بمينيه وابتنتا عالقتين بها طويلاً دون أن تتحوّلا ،  
ثم صاحت الأم على حين غرة بصوت ضعيف  
مرجف :

— هذا أنت يا زوجي ؟

فأجاب بهدوء وبطء :

— نعم ، هانذا

أنه لا يستطيع الإبحار ، وقرر أن يبقى في الدار ليعين  
امراته في صنع الشبكة

وقرب الساعة التاسعة ، عادت بنت مارتين  
الكبرى ، وكانت قد ذهبت تشتري خبزاً ، عادت  
مسرعة وجلة مذعورة وصاحت قائلة :

— ماما ... ها هو ذا

فاضطربت الأم وشحب وجهها وقالت لزوجها :

— إذهب إليه يا لوفيسك ، وقل له لا يضايقنا

هكذا ، فإن منظره يبعث في نفسي شعوراً غريباً .  
وكان لوفيسك سياداً كبيراً ذا لون أسمر ولحية حمراء  
وعينين زرقاوين وعنق قوي ، يرتدى الصوف دائماً  
خوفاً من الريح والمطر في عرض البحر ، نخرج  
بهدهو واقتراب من الأفاق ، وكانت الأم والبنات  
ينظرن إليه من بعيد بقلوب واجفة ، وبعد قليل من  
الزمن ، أبصرن الرجل المجهول ينهض فجأة ويسير  
مع لوفيسك نحو الدار

فتدهت الأم وذهلت ، وعادت إلى الوراء ،

فقال لها زوجها :

— إعطيه قطعة خبز وقدح نبيذ ، فإنه لم يأكل

مذ أمس الأول . ودخل الرجلان الدار ، وتبعتهما  
المرأة وأولادها ، وجلس الأفاق وبدأ يأكل دون  
أن يرفع رأسه ، والكل ينظرون إليه

وقفت الأم تحديق في وجهه ، واستندت ابتناها

إلى الباب ، حاملة إحداها الطفل الصغير ، وعيناها  
لا تفارقانه ، وانقطع الطفلان الجالسان فوق رماد  
الموقد عن اللعب بالقدر السوداء كأنهما يريدان أن  
يتأملتا أيضاً هذا الغريب

تناول لوفيسك كرسياً وقال مخاطبه :

ولم يتحرك ، بل راح يكمل مضغ خبزه

وكان لوفيسك مذهولاً فقال بتلعثم :

— هذا أنت يا مارتن ؟

فقال الآخر بسذاجة وبساطة :

— أجل ، هأنذا

قال الزوج الثاني :

— من أين قدِمت إذن ؟

فأجاب الأول :

— من جنوب إفريقيا . غرق المركب فنجونا

بقطعة خشب : بيكار وفاتينيل وأنا . ثم نزلنا بلاد

التوحشين الذين أسرونا اثنتي عشرة سنة ، وقد

مات رفيقاي ، ثم أنقذني أحد السياح الإنكليز

وقادني إلى هذه القرية ، وهأنذا هنا

فأخذت مارتن تجمش بالبكاء ، وخبات وجهها

في منورها

وقال لوفيسك :

— ماذا نصنع الآن ؟

قال مارتن :

— أأنت زوجها ؟

أجاب لوفيسك :

— أجل . ونظر كل منهما إلى الآخر ، ولم ينبسا

ببنت شفة

وأخذ مارتن يتأمل الأطفال المحيطين به ،

ثم أشار برأسه إلى البنيتين وقال :

— أهما ابنتاي ؟

فقال لوفيسك :

— نعم ، لهما ابنتاك

فلم ينهض ولم يعانقهما ، واكتفى بقوله :

— يا لله ! كم هما كبيرتان !

فقال لوفيسك :

— ماذا نصنع الآن ؟

فتلعثم مارتن ، ولم يدر ما يقول ، وعزم أخيراً

فقال :

— سأفعل ما يمجبك ، إذ أني لا أود أن أجلب

لك السوء . إن وجودنا في دار واحدة ضار لكليتنا :

أنا لي ابنتان ولك ثلاثة ، كل منا يأخذ أولاده .

بقيت الأم فهل لي أم لك ؟ أنا أرضى بحكمك ،

ولكن الدار لي لأن والدي تركها لي ، ولأنني ولدت

فيها ، وهي مسجلة باسمي عند كاتب العدل

وكانت مارتن تبكي باستمرار ، وتحنق نشيجها

وشهيقها في نسيج المنزر الأزرق ، واقتربت البنتان

الكبيرتان من أبيهما ، وتاملتا باضطراب . وكان

قد أتم تناول طعامه فقال بدوره :

— ماذا نصنع الآن ؟

ففكر لوفيسك وقال :

— نذهب إلى الكاهن ونرى ما يقول

فنهض مارتن . ولما اقترب من زوجته ألتفت

بنفسها على صدره منتحبة وقالت :

— زوجي ! هالك أنت يا مارتن ، يا زوجي التمس

وأخذته بين ذراعيها كما كانت تفعل فيما مضى وعادت

بها التذكيرات إلى سن العشرين عند تفتح زهرة

حبها الأول . ونال هذا المشهد من نفس مارتن

فقبلها ، وراحت البنتان قرب المدخنة تصيحان

لدى سماعهما بكاء أمهما ، وصاح الطفل الرضيع وهو

في ذراعي صغرى بنات مارتن بصوت حاد ، ووقف

لوفيسك ينتظر ختام هذا المشهد ثم قال :  
— هيا بنا  
ودخلا ، وجلسا في المقهى الذى مازال فارغاً  
من زواره ، وقال لوفيسك :

فترك مارتن زوجته ، ورأته الأم ينظر إلى ابنتيه  
فقالت لهما : قبالا أباكما  
— إيه يا شيكو ، هات كأسين من النبيذ الجيد .  
هذا مارتن قد عاد ، وهو زوج امرأتك كما تعلم ، مارتن

واقتربتا منه بميون جامدة ، وكانتا ذاهلتين  
وخائفتين ، فقبل مارتن كلا على حدة قبلة قروية صاخبة  
ولما رأى الطفل الصغير هذا الغريب يقترب منه  
أخذ يصيح صيحات حادة ثم عن اضطرابه وارتجافه  
ثم خرج الرجلان ، ولما صرا أمام مقهى التجار ،  
قال لوفيسك :  
واقتربتا منه بميون جامدة ، وكانتا ذاهلتين  
وخائفتين ، فقبل مارتن كلا على حدة قبلة قروية صاخبة  
ولما رأى الطفل الصغير هذا الغريب يقترب منه  
أخذ يصيح صيحات حادة ثم عن اضطرابه وارتجافه  
ثم خرج الرجلان ، ولما صرا أمام مقهى التجار ،  
قال لوفيسك :

— أندخل فنشرب شيئاً ؟  
فأجاب مارتن : أجل ...

قال مارتن : أفضل ذلك

نأجى الطنطاري

آمنوا لدى

شركة مصر لعموم التامينات

— امدى مؤسست بنك مصر —

تستثمر جميع أموالها في القطر المصري

وكلاء في جميع أنحاء القطر وفي السودان